

دنيا الأطفال
38
الدودة والفراشة
بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



ذَاتَ يَوْمٍ فى مَطْلَعِ الرَّبيعِ ، كانتْ سيِّدَةٌ عجوزٌ تَتنزَّهُ فى الْغَابةِ ، وَتُتَسلَّى بِجَمْعِ الثِّمَارِ الْحُلْوَةِ الْمُتساقِطَةِ مِنَ الأَشْجارِ ..

وبعْدَ أَنْ سَارتِ الْعَجُوزُ طويلاً جلَسَتْ لِتَستريحَ فى ظِلِّ شَجَرةِ تُوتٍ ..

نظرتِ الْعَجُوزُ حَوْلَها ، فرأَتْ كُلَّ شَىْءٍ فى الْغابَةِ ينْبِضُ بالْحرَكَةِ والْحياةِ ، فالزُّهورُ الْجميلةُ الْمُتَفَتِّحةُ تتمايَلُ معَ النَّسِيمِ ، ناشِرَةً عِطْرهَا وأَرِيجَهَا فى أَرْجَاءِ الْغَابةِ ..



والطُّيورُ زاهِيَةُ الألْوانِ تَنْتَقِلُ مِنْ غُصْنٍ إلى غُصْنٍ مُغَرِّدَةً في زَهْوٍ بأصْواتٍ جَميلةٍ تُعَبِّرُ عَنْ حُبِّها لِلْحياةِ ، والْفراشاتُ الْبديعَةُ الألْوانِ تَنْشُرُ أجْنِحتَها ، وتَنْتَقِلُ مِنْ زَهْرَةٍ إلَى زَهْرَةٍ ، فَتَمْتَصُّ رَحيقَها ، وتنْقُلُ حُبُوبَ اللِّقَاحِ مِنَ الأزْهَارِ الْمُذَكَّرَةِ إلَى الأزْهارِ الْمُؤَنَّثَةِ ..

وهكَذَا كانتِ الْغابَةُ تَنْبِضُ بِالْحَرَكَةِ والْحياةِ في ذَلكَ الْيَوْمِ مِنْ أيَام الرَّبيعِ ..

ولمَّا رأتِ الْعَجُوزُ ذلكَ تنهَّدَتْ قَائِلَةً :

- ألا لَيْتَ الزَّمانَ يعُودُ إلى الْوَرَاءِ ، إلَى عَهْدِ الطُّفولَةِ والشَّبابِ .. ليْتَ شَبَابِي الذَّاهِبَ يعُودُ ..



وعادَتِ الْعَجوزُ بِذاكِرَتِها إلى الْوَراءِ قائِلَةً :

ـ وقْتَها لمْ أَكُنْ أجْمَلَ فتَاةٍ في الدُّنْيا ، بلْ لمْ أَكُنْ جَميلةً جِدًا ، لكنَّ الدُّنْيا كانَتْ في عَيْنَيَّ رائِقَةً مثْلَ هذهِ السَّماءِ الصَّافِيةِ ، وكانَتِ الْحياةُ جَميلةً مثْلَ هذهِ الزُّهورِ الْمُتَفَتِّحةِ ، وتلْكَ الْفَراشاتِ الزَّاهيةِ .. وقْتَها كانَ كُلُّ شيْءٍ مُغَرِّدًا مثْلَ زَقْزَقَةِ الْعَصافيرِ ، وتغْريدِ الطُّيورِ ..



وسَكتَتِ الْعَجوزُ قَليلاً ، ثُمَّ تنَهَّدَتْ قائِلَةً :

- أمَّا الآنَ فلمْ أعُدْ أُحِسُّ طَعْمَ الْحَياةِ .. لقَدْ فارَقَنِي الأَهْلُ ، وذهَبَ الأصْحابُ والْخِلاَّنُ .. لقَدْ بَقيتُ وَحيدَةً لأَعيشَ أَرْذَلَ الْعُمُرِ فى هذِهِ الْحياةِ ، خائِفَةً مِنَ الْغَدِ ، وما تأْتى بهِ الأيَّامُ .. هكذا أنا الآنَ ..



وكانَتْ شَجَرةُ التُّوتِ تُنْصِتُ إِلَى حَديثِ السَّيِّدةِ الْعَجوزِ ، فتأَثَّرَتْ مِنْ كَلامِهِا ، وردَّتْ علَيْهَا قَائِلَةً فى تعَجُّبٍ :

- أَيَّتُها الْعَجُوزُ الطَّيِّبَةُ الطَّاعِنَةُ فِى السِّنِّ ، هلْ تتَحدَّثِينَ معَ نفْسِكِ ؟!

فنَظرتْ إِليْهَا الْعَجُوزُ قائِلَةً :

- وأَنْتِ مَعَ مَنْ تتَحدَّثِينَ يا شَجَرَةَ التُّوتِ ؟!



فقالتْ شجَرةُ التُّوتِ :

ـ أَنَا أَتَحدَّثُ إلَيْكِ أَنْتِ .. ومِنَ الأَفْضَلِ أنْ تُنْصِتِى إلَى حَدِيثِى ، فرُبَّمَا تعلَّمْتِ منْهُ شَيْئًا ..

فضَحِكَتِ الْعَجوزُ ، وقالَتْ مُسْتَنْكِرَةً :

وماذَا أتَعَلَّمُ وأَنَا فى هذِهِ السِّنِّ ؟! هِيِيه .. لَمْ يَبْقَ إلا حُسْنُ الْخِتَامِ ..



فقالَتِ الشَّجرَةُ :

ـ تَقُولِينَ هذا لأنَّكِ يائِسَةٌ مِنَ الْحيـاةِ ، وتَعِيشِينَ فى فَرَاغٍ دائِمٍ ، فلا تَجدِينَ ما تَفْعَلينَهُ ..

فقالتِ الْعَجوزُ :

ـ ومـاذا أَفْـعلُ فى هذهِ السِّنِّ ؟! لقَـدْ ربَّيْتُ أَوْلادِى وعلَّمْتُهُمْ ، والآنَ صارَ لِى أَحْفادٌ كثيرونَ ..



فقالَتِ الشجَرةُ :

ـ هلْ شاهَدْتِ مِن قَبْلُ دُودَةَ قَزٍّ ؟!

فقالتِ الْعَجُوزُ :

ـ كثيرًا ما شاهَدْتُها على شَجَرِ التُّوتِ منْ أمْثالِك ، وهى تَزْحَفُ مُلْتَوِيَةً ، لِتأْكُلَ الأوْراقَ الْغَضَّةَ ..

فقالَتِ الشَّجرةُ :

ـ طالما أنَّكِ تعْـرفِينَ الدُّودَ ، فـسَوْفَ أُعْطِيكِ اثْنَتَيْنِ ، حتَّى تَشْغَلِى وقْتَ فَراغِكِ بتَرْبِيَتِهِمَا ..



فقالتِ الْعَجوزُ فَزِعَةً :

- وهلْ ما زالَ فى الْعُمْرُ بَقِيَّةٌ ، حتَّى أَشْغَلَهَا بتَرْبيةِ دُودِ الْحَرِيرِ ؟!

فقالتِ الشجَرةُ :

- حاولِى ، ولنْ تخْسَرى شَيْئًا ..

فقالتِ الْعجوزُ مستَسْلِمَةً :

- الأَمْرُ للَّه ، ولكنْ علِّمينى كيْفَ أُرَبِّيهما ..

فقالتِ الشجَرةُ :

- الأَمْرُ أَبْسطُ كثيرًا مِمَّا تتَصوَّرينَ .. تُحْضِرينَ عُلْبَةً فَارِغَةً ، وتضَعِين فيهَا الدُّودتَيْنِ ، وكُلَّ يوْمٍ تأْخُذينَ مِنِّى بعْضَ أَوْرَاقِ التُّوتِ ، لتُطْعِميهمَا .. وسوْفَ تجِدينَ فى ذلِكَ تسْلِيَةً لَكِ ..

وفعَلَتِ الْعجوزُ ما أَمَرتهَا به الشَّجَرةُ ، فظَلَّتْ تُحْضِرُ أَوْراقَ التُّوتِ الغَضَّةَ وتضَعُها فى الْعُلْبَةِ باسْتِمرارٍ ، وكانَتْ سَعيدةً وهى ترَى الدُّودتَيْنِ تَنْمُوانِ بسُرْعةٍ ..

وذاتَ يوْمٍ حَدثَتْ مُفاجأَةٌ أذْهلَتِ الْعَجُوزَ ، فعِنْدمَا فتَحتَ الْعُلْبَةَ وجَدتْ ورَقَ التُّوتِ الَّذى وضَعَتْهُ بالأَمْسِ كما هُوَ ، ولَمْ تجِدِ الدُّودتَيْنِ ..





تعَجَّبَتِ الْعَجوزُ ، وتملَّكَها الذُّهولُ ، وراحتْ تتساءَلُ :

- أَيْنَ ذهبتِ الدُّودتانِ ، والْعُلْبَةُ كانَتْ مُحْكَمَةَ الْغَلْقِ ؟!

وفتَّشَتِ الْعَجوزُ الْعُلْبَةَ جيِّداً ، فوجَدتْ كُرَتَيْنِ صغيرَتَيْنِ ناعِمتَي الْمَلْمَسِ ، ولوْنُهُما فاتِحٌ جِداً ، فحملَتِ الْعُلْبَةَ وأسْرَعَتْ إلى الشَّجرةِ ، فقَصَّتْ عليْها ما حَدَثَ ..

فضَحِكَتْ شجرَةُ التُّوتِ ، وقالَتْ :

- لا تخَافي .. لَمْ تَهْرُبِ الدُّودتانِ .. لقَدْ صَنَعَتْ كُلٌّ مِنْهُما حوْلَها شَرْنَقَةً ، وتقوْقَعَتْ بِداخِلِها ..



فتَعَجَّبَتِ الْعَجوزُ ، وقالَتْ :

- وما مَعْنَى شَرْنَقَة ؟!

فقالَتِ الشجَرَةُ :

- الشَّرْنقَةُ هي خيُوطٌ دَقِيقَةٌ مِنَ الْحرير ، تلْفِظُها الدُّودَةُ مِنْ فَمِها ، وتُحيطُ بِها جِسْمَها ، ثُمَّ تَبْقَى بِداخِلِها فتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ..

فقالَتِ الْعَجوزُ :

- ولماذَا تَفْعَلُ الدُّودَةُ ذلكَ ؟!



فقالتِ الشَّجرةُ :

ـ بَعْدَ أسَابِيعَ قَليلَةٍ سوْفَ تعْرِفينَ السِّرَّ ، ولكنْ لى رَجَاءُ ..

اتْرُكِى إحْدَى الشَّرْنَقَتَيْنِ كما هىَ ، وافْتَحِى الأُخْرى ..

وحاولَتِ الْعجُوزُ فتْحَ إحْدَى الشَّرْنَقَتَيْنِ ، فوجَدَتْها قَوِيَّةً ومَتِينَةً جدًا ، لكنها بعْد مُحاولاتٍ تمكَّنَتْ مِنْ فَتْحِها ، ولكنَّ الْعَجوزَ لمْ تَجِدْ داخِلَ الشَّرْنَقَةِ سِوَى قطْعَةٍ جِلْدِيَّةٍ صَغيرةٍ لا تُشْبِهُ الدُّودَةَ فى شَىْءٍ ، ولِذَلِكَ حمَلَتْها ، وتَوجَّهَتْ إِلى الشَّجَرةِ ، فقالَتْ لها :

ـ لَقَدْ مَاتَتِ الدُّودَةُ ..



فقالَت لهَا الشَّجرةُ :

ـ صَبْرًا .. صَبْرًا .. الْمُهِمُّ أَنْ تَتْرُكِى الشَّرْنَقَةَ الثَّانِيةَ ، ويَوْمًا مَا سَوْفَ أُخْبِرُكِ بِما تفْعلِينَ ..

فَنَفَّذَتِ الْعَجُوزُ كلامَ الشَّجَرةِ ، وفى الْيَوْمِ الْمُتَّفَق علَيْهِ ، فتَحَتِ الْعَجُوزُ الْعُلْبَةَ بِحَذَرٍ ، فوجَدَتِ الشَّرْنَقَةَ تَنْفَتِحُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها وتَخْرُجُ مِنْها فرَاشَةٌ جَميلَةٌ زاهِيَةُ الأَلْوَانِ ، ثمَّ طارَتْ بَعيداً ..



فقالَتِ الشَّجَرَةُ :

ـ لعَلَّكِ الآنَ تَكُونِينَ قَـدْ تعَلَّمْتِ أَنَّ الْحَـيَـاةَ على الأَرْضِ لَيْسَتْ هِيَ النِهايَةَ ..

فقالَتِ الْعَجُوزُ مُتَعَجِّبَةً :

ـ مَنْ كـانَ يُصَـدِّقُ أَنَّ الدُّودَةَ التى تَزْحَفُ على الأَرْضِ ، يُمْكِنُ أَنْ تَتَحوَّلَ إِلى فَرَاشَةٍ ، وتَطِيرُ بِجَنَاحَيْها فى الْهَوَاءِ ؟!

حَقًّا سُبْحَانَ الْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ ، مُبْدِعِ كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ ..

تَمَّتْ

رقم الإيداع : ٤٦٩٢

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٥٨٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧